

مقومات التربية عند ابن باديس

Elements of education from Ibn Basdis

جبار دليلة¹¹المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر) Djebbar.dalila@ensb.dz

تاريخ الاستلام: 2022/11/20 تاريخ القبول: 2022/11/30 تاريخ النشر: 2022/12/07

ملخص:

ازداد الإهتمام بالتربية ومقوماتها في عصرنا إزدادا كبيرا في جميع المجتمعات سواء المتطورة منها أو الناشئة ، ولقد كان هذا الإهتمام إستجابة طبيعية لما يُموج به هذا العصر من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية، وحاولت التربية أن تتكيف مع هذه الأحداث ، وتستجيب لها بالإعتماد على فلسفة تعليمية تقود العملية التربوية وترشدها ، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات حاول بدوره الإهتمام بمسألة التربية والتّعليم بإعتبارها من أهم المرتكزات التي تؤدي إلى التطور والرفق الحضاري . هذا التطور المرتبط بمدى قوة النظام التربوي للدولة، لهذا نجد الإهتمام الكبير من الفلاسفة والعلماء والمختصين بالمجال التربوي وإصلاحه ، ويعد العلامة عبد الحميد ابن باديس واحدا من أبرز العلماء الجزائريين الذين كرّسوا حياتهم وجهدهم من أجل تقويم وإصلاح المنظومة التربوية في الجزائر.

لقد إهتم عبد الحميد ابن باديس ببناء شخصية الإنسان وإعداده إعدادا تربويا من جميع النواحي : الرّوحيّة والأخلاقية والعقلية ، فتريبته شاملة متكاملة ، إهتمت بالدنيا والآخرة على حدٍ سواء ، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية : ماهي أهم المقومات التي اعتمد عليها ابن باديس في تأسيس مشروعه التربوي ؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة : في التركيز على المقومات الرّوحيّة والأخلاقية والعقلية والإنسانية عند ابن باديس .

ويرجع سبب اختيار الموضوع إلى نقص الدراسات في هذا المجال ، أي البحوث المتعلقة برواد الفكر التربوي الجزائري وخاصة عند طلاب قسم الفلسفة كما يرجع كذلك إلى رغبتنا في توضيح الدور الفعّال للشيخ ابن باديس في إصلاح الوضع التربوي في الجزائر ونبين أن هناك فعلا أعلام في الفكر التربوي الجزائري تستحق أن تكون موضوع بحث ودراسة .

وتهدف هذه الدراسة إلى تحديد مقومات التربية عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس وأن التربية عنده شاملة لجميع الجوانب الإنسانية وهي تربية للجسم والروح والعقل معا ، وتهدف إلى الانفتاح على الآخر وتكوين الإنسان وتنمية قدراته المعرفية والأخلاقيّة والاجتماعيّة والسياسية .

الكلمات المفتاحية : ابن باديس ، التربية ، العقل ، الأخلاق ، الإنسانية

Abstract:

The interest in education and its components in our time has increased greatly in all societies, whether developed or emerging, and this interest was a natural response to the political, social and economic events that are raging in this era, and education has tried to adapt to these events and respond to them by relying on an educational philosophy that leads the process Education and its guidance, and the Algerian society, like other societies, tried in turn to pay attention to the issue of education as one of the most important pillars that lead to the development and advancement of civilization. This development is related to the strength of the educational system of the state, for this we find great interest from philosophers, scientists and specialists in the field of education and its reform, and the scholar Abdel Hamid Ibn Badis is one of the most prominent Algerian scholars who devoted their lives and efforts to evaluate and reform the educational system in Algeria.

Abd al-Hamid Ibn Badis was concerned with building the human personality and preparing him educationally in all respects: spiritual, moral and mental , so his education is comprehensive as it cares for both the world and the hereafter , from this standpoint we pose the following problem :

What are the most important elements that Ibn Badis relied on in establishing his educational project ?

The importance of this study lies in focusing on the spiritual, moral, rational and human elements of Ibn Badis.

The reason for choosing the topic is due to the lack of studies in this field, i.e. research related to the pioneers of Algerian educational thought, especially among students of the Department of Philosophy. It also refers to our desire to clarify the effective role of Sheikh Ibn Badis in reforming the educational situation in Algeria, and we show that there are indeed figures in Algerian educational thought that deserve to be the subject of research and study.

This study aims to determine the elements of education according to Sheikh Abdul Hamid Ibn Badis, and that education in his view includes all aspects of humanity, which is an education for the body, spirit and mind together, and aims at openness to the other, the formation of the human being and the development of his cognitive, moral, social and political capabilities.

Keywords: Ibn Badis, education, reason, morals, humanity

المؤلف المرسل: جبار دليّة

1. مقدمة:

تلعب التربية دور مهما و أساسيا في حياة الأمم ، فهي أداة المجتمع في المحافظة على مقوماته الأساسية من أساليب الحياة وأنماط التفكير ، ويعتبر الإمام عبد الحميد ابن باديس (1889-1940م) واحدا من العلماء الجزائريين الذين إهتموا بتربية الفرد الجزائري وإعداده وتكوين شخصيته من جميع النواحي : العاطفية والروحية والأخلاقية والعقلية ، لأنّ الفرد في نظره هو الخلية الأولى في بناء المجتمع وإصلاح الفرد هو إصلاح المجتمع بأكمله ، فالتربية عند ابن باديس هي بناء للفكر وتثقيف للعقل ، وتقويم للأخلاق ووسيلة لبلوغ الكمال الإنساني فالتربية عنده شاملة كاملة تُستمد أهدافها من أهداف التربية الإسلامية من جهة ومن المجتمع الجزائري من جهة أخرى فهو يعطي الإهتمام الأكبر للبعد التربوي ، ويجعله الغاية والأساس لكل

عمل تعليمي ، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية : ماهي أهم المقومات التي إعتد عليها ابن باديس في تأسيس مشروعه التربوي ؟ .

ومن هذه الإشكالية نطرح الأسئلة الجزئية التالية :

- كيف تساهم التربية في إصلاح النفس الإنسانية وتطهيرها من مساوئ الأخلاق عند ابن باديس ؟
- ماهو دور التربية في تنمية وتثقيف القدرات العقلية للإنسان ؟
- كيف تعمل التربية على خدمة الإنسانية وتكوين شخصية الفرد ظاهرا وباطنا ؟
- ما طبيعة العلاقة بين التربية والأخلاق عند ابن باديس ؟

2. نبذة تاريخية عن حياة ابن باديس :

هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس ، إمام ومصلح ومناضل جزائري ، وُلد بمدينة قسنطينة في 1889م وتوفي في 16 أبريل 1940م . هو من رجال الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر ومؤسس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 05 ماي 1931م وكان أول رئيس لها (عبد الحميد محمد ، 1997 ، ص 61) .

تلقى دراسته الأولى في قسنطينة ثم سافر إلى تونس لإتمام دراسته ، والتحق بجامع الزيتونة ، حيث درس الأدب على العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور* ، وتفسير القرآن الكريم على العالم الكبير النخلي القيرواني** ، وكان أثر أستاذه النخلي عظيما سواء علميا أو عمليا (عبد الحميد محمد ، 1997 ، ص 62 ، 63)¹.

* عالم وفقه تونسي ، تعلم بجامعة الزيتونة ، ثم أصبح من كبار أساتذته ، ولد سنة 1879م وتوفي عام 1973م ، ومن مؤلفاته : "التحريب والتنبؤ" و "من مقاصد الشريعة الإسلامية"

² هو من أعلام الزيتونة ، ولد بتونس سنة 1869م وتوفي سنة 1924م ، من أشهر مؤلفاته: "حياة اللغة العربية".

*** هو أحد قادة الحركة الإصلاحية التونسية بمدينة تونس سنة 1865م وتوفي عام 1917م ومن أشهر مؤلفاته: "مفتاح التاريخ" ، و "كتاب الجغرافيا" .

كما تلقى العلم على يد الشيخ البشير صفر*** وهو من أبرز علماء تونس ، ومن القلائل الذين جمعوا بين التعليم العربي الإسلامي والتعليم الغربي الأوروبي .

• من أشهر مؤلفاته :

- مجالس التذكير من حديث البشير النذير عام 1948م
- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عام 1963م
- رجال السلق ونساؤه في عام 1966م
- أثار ابن باديس عام 1968م
- مبادئ الأصول عام 1988م

3. مفهوم التربية :

التربية تبليغ للشئ إلى كماله، أو هي كما يرى المحدثون تنمية للوظائف النفسية بالتمارين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً ، يقول : "رَبَّيتَ الْوَلَدَ ، "إِذَا قَوَّيْتَ مَلَكَاتِهِ وَنَمَّيْتَ قُدْرَاتِهِ ، وَهَذَّبْتَ سُلُوكَهُ ، حَتَّى يَصْبِحَ صَالِحًا لِلْحَيَاةِ فِي بَيْئَةٍ مَعِينَةٍ" (جميل ، 1978 ، ص 226) . ومن شروط التربية الصحيحة أن تُنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية ، حتى يصبح قادراً على مؤالفة الطبيعة ويعمل على إسعاد نفسه، وإسعاد الناس (جميل ، 1978 ، ص 226) ، وتعد التربية ظاهرة إجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها .

4. مفهوم التربية وأهدافها عند ابن باديس :

التربية في نظر ابن باديس هي "ما يُحْدِثُهُ النَّشَاطُ التَّعْلِيمِي من تغيير إيجابي في جوانب شخصية المتعلم، في فكره ولسانه ووجدانه وسلوكه، بحيث يجعله يتلقى تربية شاملة تعزز ارتباطه بدينه ولغته، وتعمق شعوره بالانتماء إلى الوطن والتاريخ وتجعله يحافظ على شخصيته" (ليندة ، 2022 ، ص 240).

لقد اتخذ من التربية وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي أيضا، لأن الأهداف التربوية تشمل ذلك كله ، "إن التربية فن يرمي إلى تحقيق القيم التي تُعَيِّنُها فلسفة مجتمع ما من المجتمعات ، فالتربية من جهة أخرى تعتمد على العلم وذلك لإختراع أحسن الوسائل لتحقيق هدفها ، فالتربية باعتبارها فلسفة عملية تتصل بالفلسفة والعلم معاً في آن واحد ، فالفلسفة تحدد الغرض ، والعلم يحدد الوسيلة ، وهذا العلم هو علم النفس أو علم الطبيعة البشرية " (ابن باديس ، 1968 ، ص 103).

كما أن التربية عند ابن باديس تهدف إلى كمال الحياة الفردية والاجتماعية واتخذ من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الكامل لذلك في سيرته الطيبة علما وعملا ، وهذا يعني أنه يسعى إلى بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة بجوانبها المختلفة : الجانب الأخلاقي ، العقلي ، العملي والعضوي .

بالإضافة إلى أن ابن باديس اعتمد في مهمته التربوية على منهج متكامل يجمع بين الجانبين : الجانب النظري والتطبيقي ، من أجل بناء شخصية متكاملة ، فالجانب النظري فيتمثل في تربية الأطفال تربية إسلامية قائمة على المحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم ، أما الجانب التطبيقي هو تدريب هؤلاء الأطفال على المهارات اليدوية وتعليمهم الصنائع والحرف، كما أشار إلى ذلك الفيلسوف الأمريكي جون ديوي في كتابه "المدرسة والمجتمع" قائلا : "فإذا التفتنا إلى المدارس وجدنا أن أحد الاتجاهات الواضحة في الوقت الحاضر هو الاتجاه لتقديم ما يسمى بالتدريب اليدوي والعمل المهني التطبيقي والفنون المنزلية كالخياطة والطبخ" . (جون ، 1943 ، ص 36)

بالإضافة إلى ذلك يجب علينا تعويد أطفالنا على الأعمال الخيرية مثل: الأعمال التطوعية ، فالتربية عند ابن باديس هي سعي متواصل إلى تحقيق ما يستطيع من كمال في حياتنا اليومية ، أي أن العمل التربوي ينبغي أن يستهدف ترقية أفكارنا وإثراء خيراتنا وتهذيب سلوكنا ، وتقوية إرادتنا (وحيد ، 2021)

5. مقومات التربية عند ابن باديس:

إن التربية عند ابن باديس متوقفة على قوة العلم ، وقوة الإرادة وقوة العمل ويقول ابن باديس في هذا الصدد : "إن الكمال الإنساني متوقف على قوة العلم ، وقوة الإرادة وقوة العمل، فهي أسس الخلق الكريم والسلوك الحميد... وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لابد للإنسان منها فالعمل متوقف على البدن ، والفكر متوقف على العقل ، والإرادة متوقفة

على الخلق، فالتفكير الصحيح ، والإرادة القويّة من الخلق المتين والعمل المفيد من البدن السليم" (ابن باديس، 1968، 104)

لذلك يجب على الإنسان أن يحافظ على عمله وخلقه ودينه ، فيثقّف عقله بالعلم ، ويقوم بهتذيب أخلاقه بالسلوك النبوي ويقوي بدنه بتنظيم غذائه .

يسعى ابن باديس إلى بناء الشخصية البشرية : في شمولها ، كليتها ووحدها ولهذا جعل للتربية مقومات أساسية من بينها المقومات الروحية والعقلية والأخلاقية ، ومن أهدافه العليا في التربية خدمة للإنسانية وإعداد الفرد للحياة بمختلف ميادينها .

1.5 المقومات الروحية:

إهتم ابن باديس بالجانب الروحي للإنسان، وحرص على خرس معاني الإيمان في نفوس من يحضر له في دروسه ، فكان يحثُّ الناس على الإيمان بالكتاب والسنة ، كما أنه يرى أنَّ الإصلاح الاجتماعي يقوم على أساس أنَّ الأخلاق تنبع من الدّاخل ، وأنَّ الوسيلة الوحيدة هي تطهير القلوب وتغيير النفوس وهذا يؤدي إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية، و يقول في هذا الصّدّد:

" إنَّ الَّذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد ، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظّاهر" (ابن باديس، 1968، 101)

وهو يعتبر أنَّ العناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس على أساس أنَّ المخاطب من الإنسان هو نفسه، وأنَّ ما يظهره الجسد من تصرفات ، لا يعدو أن يكون إنعكاسًا لما تضره تلك النفس الّتي لا يصلح الإنسان إلّا بإصلاحها مستشهدًا بقوله تعالى : " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" [الشّمس 9-10] ، لذلك ركّز ابن باديس على تطهير الرّوح وتنزيهاها عن مساوئ الأخلاق وتحليتها بمكارمها لتسمو بصاحبها نحو الكمال الإنساني لأنَّ الإنسان " مهياً للكمال بما فيه من الجزء النّوراني العلوي وهو روحه ومعرّض للسقوط والنقصان بما فيه من اختلاط عناصر جزئه الأرضي الظلماتي وهو جسده ...، ولا ينجو من أسباب نقصانه إلّا بعبادة ربّه الّتي بها صفاء لعقله وزكاء نفسه وطهارة بدنه في ظاهره وباطنه" (ابن باديس، ص 326)

إنَّ تغيير الدَّات للإنسانيَّة و إرشادها ، وتحويل و إصلاح الباطن البشري الَّذي يعتبر العامل الأخلاقي الأساسي في كل إصلاح عند ابن باديس، إنّما هي التَّربية .

2.5 المقومات الجسديَّة :

لقد اعتنى ابن باديس بالجانب الرُّوحي للإنسان ، ولكِنَّه أوَّلَى إهتماما بالغاً للجانب الجسدي الَّذي لا يقلُّ أهمية عن الجانب الرُّوحي ، ذلك لأنَّ كثيراً من الأعمال تتوقف على سلامة الأبدان وقوَّتها لأنَّ ضعيف الجسم يقلُّ أدأؤه العقلي والاجتماعي وبالتالي لا يكون عنصراً فعَّالاً في مجتمعه .

إنَّ الرِّياضة البدنيَّة تلعب دوراً فعَّالاً في الحفاظ على سلامة الأبدان وصحتها ، فالمحافظة على الأبدان من الواجبات ولذلك فلا بد من ممارسة الرِّياضة البدنيَّة وهذا ما جاء في كتاب "الجمهوريّة لأفلاطون": " فلا بد من ممارسة الرِّياضة البدنيَّة بعناية منذ الطُّفولة وفيما يلي ذلك من مراحل العمر ،... فإذا ما عهدنا إلى النَّفس ، بعد أن تُعنى بها العناية اللّازمة بمهمّة وضع قواعد التَّربية البدنيَّة مقتصرين على تحديد المبادئ العامة، لأنَّ النَّفس الخيرة تستطيع بقواها الكامنة أن تضفي على الجسم كلّ ما فيها من كمال " (أفلاطون، 1990 ، ص128) ، فالرِّياضة البدنيَّة والوجبات الغذائيَّة ، لها دور كبير في الحفاظ على سلامة الأبدان وصحتها.

3.5 . المقومات العقليَّة:

إنَّ التَّربية عند ابن باديس إهتمت بجميع جوانب المتعلم، فكما إهتمت بالجانب الرُّوحي والجسدي، فإنَّها أوَّلَت للجانب العقلي عناية خاصة، وذلك بالحفاظ على العقل والعمل على تثقيفه بكل ما هو نافع من العلوم الدِّينيَّة والدينيَّة ، يقول ابن باديس: " حافظ على عقلك فهو النُّور الإلهي الَّذي منحته لتهتدي إلى طريق السَّعادة في حياتك" (عبد الحميد محمد، 1997 ، ص183).

كما ركَّز ابن باديس في خطته التَّربويَّة على تنمية القدرات العقليَّة للطلبة وحثهم على إستعمال عقولهم فيما يدرسون ، ويفكرون تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن تفكير غيره ، يقول : " إذا كان التَّفكير لازماً للإنسان في جميع شؤونه وكل ما يتصل به إدراكه ، فهو لطلبة العلم ألزَم من كل إنسان فعلى الطَّالب أن يفكر تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن تفكير غيره، وإنَّما يعرف تفكير

غيره ليستعين به، ثم لا بد له من استعمال فكره هو بنفسه "(عبد الحميد محمد، 1978، ص183).

وهذا ما ورد في كتاب كانط (1724-1804م) "تأملات في التربية" وتنبي القوى العقلية تنمية أفضل كلما أنجزنا بأنفسنا ما يراد فعله... فالذي نتعلمه أمثن تعلم، وتحفظه أحسن حفظ هو الذي تعلمناه نوعا ما بأنفسنا، وأحسن طريقة لفهم خريطة جغرافية أن نتمكن من إنجاز بأنفسنا (كانط، 2005، ص54).

يحث ابن باديس الطلبة على تكريم العقول بتنزيهاها من الأوهام والشكوك والخرافات والضلالات وربطها بالعلوم والمعارف وصحيح الاعتقادات .
اعتنت التربية عند ابن باديس بجميع جوانب شخصية المتعلم، واهتمت بصحة الأبدان وسلامتها وصفاء الأرواح وتزكيتها من مساوئ الأخلاق، وتنشيط العقول وصيانتها و تثقيفها والحفاظ عليها .

4.5 . المقومات الإنسانية:

اهتم ابن باديس بالإنسان وجعله محور خطته التربوية وهدف مشروعه الإصلاحي بصفة عامة هو الإنسان الذي يعيش في واقعنا ويتفاعل مع أحداث عصرنا، وليس الإنسان المثالي الذي لا يستطيع أن نجد نماذج منه في حياتنا .
ومن أهدافها العليا في التربية خدمة الإنسانية أولا قبل كل شيء ، أو مساعدة الفرد على النمو في هذا الاتجاه الذي يحترم الإنسانية باختلاف مذاهبها ونزاعاتها ويقول في هذا الصدد: "إن خدمة الإنسانية في جميع مظاهرها تفكيرها ونزاعاتها هو ما نقصده ونرمي إليه وتعمل على تربيتنا وتربية من إلينا عليه (ابن باديس، 1968، ص 105). وهذا ما جاء به كانط إيمانويل في كتابه حول التربية "تأملات في التربية" ، بحيث يصرح على أن لا يستطيع الإنسان أن يصير إنسانا إلا بالتربية فهو ليس سوى ما تصنع به التربية (كانط، 2005 ، ص45). ، والوسيلة التي تحقق بها هذا الغرض عند ابن باديس هي التقيد بالإسلام أولا ، وبخدمة الوطن ثانيا، لأن الإسلام يخدم الإنسانية بجميع أجناسها، ويقرر المساواة والتراحم والتعاطف بين الناس جميعا. تهدف التربية عند ابن باديس وكانط والعديد من الفلاسفة إلى تكوين الإنسان والوصول إلى كمال الطبيعة البشرية حيث يقول ابن باديس: "إن هدف التربية هو النهضة التي تؤدي إلى

الحضارة وأول خطوة في طريق الحضارة ، إنما هي تكوين الإنسان وربط أفراد المجتمع في شبكة من العلاقات الاجتماعية لتحقيق هدف مشترك" (ابن باديس، 1968، ص106). ولقد تحدّث روسو في كتابه "إميل" عن علاقة الإنسان بالتربية ، بحيث جعل الهدف الأول في التربية هو إصلاح وإعداد الإنسان قائلاً: "وأنا لا يعني أن يكون مصير تلميذي الانضمام إلى الجيش أو الكنيسة أو الاشتغال بالقانون ، فالطبيعة تندبه قبل كل شيء للحياة الإنسانية وحين يتخرج بين يدي سيكون إنساناً قبل كل شيء، بكل ما ينبغي أن يكونه الإنسان"(جان جاك ، ص ص 31، 32) .

نظر ابن باديس إلى هذا الإنسان نظرة واقعية لا تجزئ حقيقته ولا تختصرها في بعد واحد من الأبعاد الكونية لهذه الحقيقة ، بل تشمل جميع ما يكون به الإنسان إنساناً، تشمل الفكر الروح والدوافع والاعتقادات التي تحصل عن طريق التعلم ، وكذلك الأعمال التي يمارسها الفرد والإنسان في نظر ابن باديس كلُّ متكامل ، فكل وعقيدة وعمل فيقول : "إنَّ الإنسان إنَّما هو إنسان بفكره وغرائزه وعقائده وأعماله المودعة كلُّها في جزئه المحسوس الفاني وهو الجسد وفي جزئه المعقول الباقي وهو الروح وبهذه الأصول الأربعة ينهض الإنسان أو يسقط" (عبد القادر، 2012).

■ الانفتاح على الآخر:

كما يهدف ابن باديس في فلسفته التربوية إلى الانفتاح على الآخر، فهو يرفض نبذ الآخر أو الإنغلاق على الذات وإقصاء الآخر لأنَّ خدمة الوطن، ومحبه لديه علاقة مباشرة بخدمة ومحبة الإنسانية ، لذلك قرر ابن باديس خدمة الوطن والإسلام لأنَّ خدمة الإسلام تدعو إلى الأخوة الإنسانية بين جميع البشر، كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية، والمساواة في الكرامة والحقوق بين جميع الأجناس والألوان خدمة غير مباشرة للإنسانية ، وهذا ما أشار إليه كانط في كتابه "مشروع السلام الدائم" وفيه قرر أنَّ كل أمة في العالم لها الحق في تقرير المصير ولا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة الحكم فيها (كانط ، 1952، ص 31) يأخذ ابن باديس بفكرة العالمية ويوصي بالإحسان والأخوة مع كل جنس من أجناس البشر، وهذا دليل على رغبته في التفتح على الآخر وخدمته والتعاون معه على الخير والصالح .

5.5 المقومات الأخلاقية :

عالج ابن باديس المشكلة الأخلاقية من الجانب النظري والفردى والدينى والاجتماعى الواقعى ، واعتمد فى تحليله للمسائل الأخلاقية على القرآن الكريم، فالدين والأخلاق عند ابن باديس غير منفصلان عن بعضهما بحيث يهدف كل منهما إلى إصلاح النفس لأنَّ صلاح الإنسان وفساده يقاسان بصلاح نفسه وفسادها ، كما أنَّه يربط بين صلاح الفرد وصلاح المجتمع وهذا عن طريق الالتزام بالشريعة الإسلامية وتطبيق مبادئها وهى : الحق والخير والعدل والكف عن الظلم والشر والباطل .

يرى ابن باديس أنَّ الأخلاق الفاضلة هى موجودة فى فطرة الإنسان بأصولها وتنمو بالتربية الصالحة وتنطمس بالإهمال بحيث يقول: " وإذا تزيَّنت الأمة على هذه الأخلاق وتدرجت إلى الكمال فيها ، فذلك عنوان نجاحها وفوزها" (خالد ، 2020) .

إنَّ غياب الأخلاق عند ابن باديس ناتج عن عدم فهمنا الإسلام ، وعن سوء التربية داخل المجتمع، لأنَّ الأخلاق الصالحة مرتبطة بالتربية الصالحة ، وهى الفكرة التي نجدها عند جون ديوي فى تقريره أنَّ مصدر الأخلاق هو المجتمع بحيث صرَّح : "وليس السلوك الإنسانى اجتماعى لأنَّه يجب أخلاقيا أن يكون كذلك ، بل هو اجتماعى بالضرورة سواء كان ذلك خيرا أو شرا " (جون، 1963، ص 51) ، فالتربية هى العامل الأساسى الذى يضبط سلوك الفرد فى المجتمع.

اهتم ابن باديس ببيان الفضائل الأخلاقية المستمدة من المصادر النقليَّة، والتي يجب أن يتحلَّى بها الإنسان فى حياته العملية وهى : الرحمة والعدل والمساواة والأمانة والصدق والإحسان وبرِّ الوالدين والحب والتسامح والصبر وغيرها...

إنَّ التربية عند ابن باديس مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالأخلاق ولا تكون مجدية إلَّا على أساس من العقائد وتقويم الأخلاق والقرآن الكريم هو مصدر الخلق العظيم.

خاتمة:

يعدُّ ابن باديس شخصية غنيّة، وثريّة بإنتاجها التربوي ومن الصُّعوبة الإلمام بكل أبعادها وآثارها، في بعض صفحات، فقد إنتهج منهاجا إصلاحيا تربويا خاصا يتلاءم مع العصر الذي عاش فيه .

يرى ابن باديس أنّ التربية الحقّة هي التي تهتم بجميع جوانب الشّخصيّة الإنسانيّة منها : الجانب النّفساني والوجداني ، الجانب البدني والعقلاني مع الجانب الأخلاقي والإنساني. اهتم ابن باديس بالفلسفة التّربويّة وتكوين شّخصيّة كاملة قائمة على مبادئ الدّين ، الأخلاق، اللّغة والوطن ، بحيث استطاعت هذه الفلسفة التّوفيق بين المبادئ القوميّة والانفتاح على الآخر أي الدّعوة إلى الكونيّة والعالميّة من خلال خدمة الإنسانيّة والوصول إلى كمال الطّبيعة البشريّة .

لقد تطرّقنا في بحثنا "إلى مقومات التربية عند ابن باديس ، التي إستخلصناها ممّا تركه لنا من مصادر ومراجع بعض المفكرين هذه المقومات التي تجدها حاضرة في أذهاننا وأمام أعيننا ولكّنها غائبة عن برامجنا التّعليميّة، وغير مبرمجة في مجال المنظومة التّربويّة، وهذا ما جعل طلابنا لا يستهويهم البحث عن أفكار علمائنا فبالرغم من وجود أعلام الفكر التّربوي الجزائري، ولا يحاولون الإستفادة ممّا تركه هؤلاء العلماء، إمّا جهلا أو تجاهلا .

يميل معظم طلابنا إلى البحث عن الأفكار التربوية في مصادر أخرى وخاصة عند المفكرين الغربيين أمثال: جان جاك روسو، جون ديوي، دوركايم، إيمانويل كانط.... إلخ بالرغم من أن الفكر التربوي عند هؤلاء لا يختلف عن الفكر التربوي الذي تركه ابن باديس في مجال التربية فهو فكر واقعي وشامل يجمع بين المقومات الإنسانية لروسو وكانط و الأخلاق الاجتماعية لديوي ودوركايم وغيرها من المبادئ الحاضرة بقوة في فكر ابن باديس .

وينبغي أن نشير في النهاية إلى ضرورة الإهتمام بالفكر التربوي عند ابن باديس وأمثاله، أي: بأعلام الفكر التربوي الجزائري ، ومحاولة إدراج النظريات التربوية لهؤلاء المفكرين وذلك للاستفادة من خبرتهم في مجال التربية والتعليم، من أجل تأسيس نظام تربوي جديد يعتمد على الواقع الجزائري المعاش ، لأن ابن باديس في حد ذاته أراد بمشروعه التربوي بناء مجتمع متعلم ومتحضر ، يعتمد فيه الطلاب على أنفسهم في تحصيل المعرفة والتعلم الذاتي والاستنارة بالعقل الذي مآز الله به الإنسان وجعله أداة في علمه وعمله

• قائمة المراجع :

- ابن باديس ، عبد الحميد . 1245هـ ، "آثار ابن باديس" . مجلة الشهاب_ (العدد 49) .
- ابن باديس ، عبد الحميد . 1921م.، "مجالس التذكير(التفسير)" . مجلة الشهاب ج2، م7.
- ابن ياديس ، عبد الحميد . (1968م) . آثار ابن باديس ، (ط1) . م1. الجزائر: الشركة الجزائرية .
- أفلاطون. (1990م). الجمهورية . تقديم جيلالي اليابس ، الجزائر: سلسلة الأنيس العلوم الإنسانية.
- حميدانو ، عبد الحميد محمد. (1997م). ابن باديس و جهوده التربوية. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية .
- ديوي، جون. (1943م) ، المدرسة والمجتمع. ترجمة: أحمد حسن الرحيم ، بيروت: دار مكتبة الحياة .

